الحمامات العثمانية في مدينة تلمسان
حمام سيدي سليمان أنموذجا.

د. محمد بن حمو (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)

ملخص:

في هذا المقال أن نتطرق إلى الحمامات العثمانية بمدينة تلمسان، وسنركز على حمام سيدي سليمان باعتباره النموذج الوحيد الذي تمكنا من دراسته، وعلى هذا سنتكلم على دخول العثمانيين إلى تلمسان، ثم نشير إلى تخطيط الحمامات العثمانية بالجزائر، وأخيرا نتطرق إلى مختلف العناصر المعمارية المكونة لحمام سيدي سليمان.

Abstract :

In this article we deal with the Ottoman baths in Tlemcen.Our focus is about Sidi Slimane's bath as the only model that we were able to study .

In our study we developed the following points :Firstly the entrance of the ottomans to the city of tlemcen, and then we refer to the Ottoman baths planning in Algeria finally we deals with the various components of the sidi sliman's bath and it's architectural elements .

مقدمة:

نريد في هذا المقال معرفة تخطيط الحمامات العثمانية بتلمسان، ورغم أننا لم نجد حماما عثمانيا لا يزال يستعمل إلى الآن، إلا أنه يمكننا معرفة ذلك التخطيط بمقارنة الحمامات العثمانية التي اشتهرت في الجزائر في ذلك الوقت بحمام سيدي سليمان والذي يعود لفترة متأخرة عن العثمانيين، والذي يمكن اعتباره نموذجا للحمامات العثمانية التلمسانية، وعلى هذا سنتطرق في هذا المقال إلى تاريخ دخول العثمانيين لتلمسان باختصار، ثم نعرج على أهمية الحمام الاجتماعية والصحية، ونحاول معرفة تخطيط الحمامات العثمانية وعمارتها، ثم نفصل الكلام على حمام سيدي سليمان.

بعد أن استقر عروج ومن معه في الجزائر ووطد أركان الدولة عزم على إخراج الإسبان من المغرب الإسلامي، وكان الإسبان في كل من تونس وبجاية شرقا ووهران وضواحيها غربا

إلى بعض سواحل المغرب الأقصى يقاسمهم هناك البرتغاليون، وأدرك عروج أن الجهة الغربية أكثر خطرا ليس من طرف الإسبان وفقط، ولكن أيضا من بني زيان الذين والى حكامهم الإسبان.

اتجه عروج إلى تلمسان فدخلها عنوة وولّى عليها أبا زيان الثالث، ثم جال في نواحي المغرب الأوسط لإخضاعها، غير أن أبا زيان نبذ تبعيته للعثمانيين ووالى الإسبان، فعاد عروج إلى تلمسان وقتل أبا زيان وبعض مناصريه وكان ذلك في سنة 1517م[1].

في العام الموالي اتجه جيش مكون من عشرة آلاف رجل من إسبان وأعراب بقيادة أبي حمو واتجهوا إلى تلمسان وحاصروها، فاستبسل عروج وأهل المدينة في الدفاع عنها مدة ستة أشهر كاملة، وبعد أن هدمت المدافع أسوار تلمسان ودخل القوم المدينة وتقاتلوا في الأسواق والشوارع اضطر عروج إلى أن يتحصن بقلعة المشور الموجودة داخل تلمسان مع خمسمائة(500) من العثمانيين، وبقي على ذلك مدة، ثم قرر أن يخرج بمن معه وأن يشقوا طريقهم بالسلاح إلى ناحية البحر حيث يمكن لأخيه خير الدين أن يمده بالجيش والمؤونة، وبالفعل نفذّ خطته، غير أن فرقة كبيرة من الإسبان لاحقته، وكان عدد من خرج معه عشرة رجال، وبعد أن تقاتل الفريقان في زاوية سيدي موسى أو قرب واد المالحRio Salado على اختلاف الروايات ومات جنود عروج، وتقاتل عروج مع قائد الإسبان كارسيا لابلازا فقتل كل منهما صاحبه، وقطع رأسه وأرسل إلى وهران ثم إلى إسبانيا وطِيف به في أوروبا، يقول وليم سبنسر ثم أعيد إلى دير القديس جيروح في قرطبة حيث زين به حائط بهو التعبد والذي ظل يعرف لزمن طويل ببهو بربروسا لعبادة المسيح، أما جثته فينقل أحمد توفيق المدني عن عبد الرحمن الجيلالي أنه مدفون جوار ضريح سيدي رمضان بالجزائر على يمين الداخل، وكانت هذه الأحداث في شهر ماي عام 1518م[2].

بقيت تلمسان على هذه الحال، ثم في عام 1541م نجح خير الدين في إخضاع تلمسان إلا أنه في عام 1543م استرجعها الإسبان، ثم أعاد العثمانيون عليها الكرة مع حليفهم الزياني أبي زيان أحمد وفرَّ محمد السابع حليف الإسبان مع بعض خواصه إلى بلاد أنكاد يريد المدد إلا أن قبائلها قتلوه[3].

بقيت الأمور على حالها لبعض الوقت ثم ما لبث أبو زيان أن اتصل بالإسبان أعدائه بالأمس في سنة 1547م، غير أنه هزم أمام العثمانيين عام 1550م وهذا في عهد حسان باشا

حاكم الجزائر أنذاك، وفي عام 1554م اجتمع مجلس العلماء بتلمسان وقرر خلع هذا الأمير وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى الدولة الجزائرية، ومن المؤرخين من يرى أن الانضمام التام إنما كان عام 966هـ/1558م[4].

وبقيت الحال بتلمسان للعثمانيين وظهر عنصر الكول اغلي (الكراغلة) وهم المولدون من الأتراك والأمهات الجزائريات، والظاهر من كلام الأمير عبد القادر للجنرال بيجو أثناء معاهدة التافنة التي عقدت بينهما أنه أوصاه بكراغلة تلمسان خيرا، إذ كانت فرنسا قد استولت على تلمسان، فالظاهر من قوله أن حكم تلمسان قد رجع لهذا العنصر بعدما لم يكن لهم أي حق في المناصب الإدارية فضلا عن الحكم[5].

يظهر من هذا أن العثمانيين بقوا في تلمسان قرابة ثلاثة قرون، ولكن الظاهر أنهم لم يختلطوا مع سكان المدينة إذ بقوا ذلك العنصر الغريب الذي جاء في زي عسكري وبقي كذلك رغم أن بعضا منهم تزوج في تلمسان وأنجبوا الجيل الجديد للمولدين أو من يسمون بالكراغلة، ورغم طول هذه المدة التي قضوها بالمدينة إلا أن آثارهم بها قليلة مقارنة بمن سبقهم يقول محمد عمرو الطمار :» وذلك لأن السياسة التركية كانت قائمة على التخوف من السكان الجزائريين وعلى حرمان هؤلاء من مناصب الإدارة والحكم كما فعلت روما من قبل وفرنسا من بعد، فإن خطتهم كانت خطة استعمارية محضة، بقوا طويلا بتلمسان ومع ذلك طالما بحثنا عن آثارات تركية بالمدينة فلم نعثر على شيء إلا ما كان من بعض الأسماء»[6].

و على كل حال فلسنا مع محمد بن عمرو الطمار أن هدفهم استعماري بحت، لأنه لو كان كذلك لدخلوا إلى تلمسان بالقوة ولفعلوا ذلك أيضا كلما عادوا إليها لطرد الإسبان، ولكنهم والحق يقال فمنذ عهد عروج وأهل تلمسان هم الذين استنصروا بهم ضد ملوكهم الذين والو الإسبان واستجابوا لنداء الجهاد في كل مرة، وإن كانت لهم أخطاء فهي مغمورة في بحر حسناتهم، إلا أننا نوافقه إلى حد بعيد في قوله أن آثارهم في تلمسان قليلة.

1 - الأهمية الاجتماعية والصحية للحمام:

بالإضافة على دورها في النظافة كما هو الأصل الذي وجدت من أجله، إلا أنه كان لها دور اجتماعي أيضا حيث يلتقي فيه الرجال مع بعضهم والنساء كذلك مع بعضهن وفيه يتفق على الزواج أو بدايته أو مبادرته الأولى، وهذا ما يزال منتشرا إلى حد ما في وقتنا الحالي وفيه يتحدث على مراسيم الدفن، وفيه أيضا يتفق على الأعمال التجارية، كما تحكى

فيه الحوادث العائلية[7]، وإلى جانب دورها الاجتماعي هذا فإنها كانت تعالج فيها بعض الأمراض أو تتسبب في عدم وقوعها، ومن الأمراض التي تداوى فيه التهاب اللوزتين، وقد حضر فيلهم شيمبر الألماني كما نقل ذلك دودو طريقة معالجتها قال:» دخل إلى الحمام شاب انتفخت لوزتاه عند فكه الأسفل واستحم ثم اتجه إلى رجل كبير السن كان جالسا في الرواق، ومع أنه لم يكن طبيبا فقد اضطجع الشاب أمامه فوضع يديه فوق لوزتيه وضغط عليها بشدة رافعا إياه من الأرض لمدة طويلة، ثم أعاده إلى مكانه وقد اعوج وجه الشاب الذي فتح عينيه برهة ثم أغمضهما وقد بدا عليه أنه فقد وعيه تماما وعندما استيقظ ثانية ونظر حوله مستغربا كرر الشيخ العملية معه مرة ثانية وثالثة إلى أن غاب الشاب عما حوله مدة طويلة، وبالتالي فتح عينيه وتنفس بقوة واستحم من جديد ثم غادر الحمام وقد شفي من مرضه «[8]، وبالإضافة إلى علاج التهاب اللوزتين نذكر أن الحمامات نافعة للأمراض الباطنية وذلك إذا شرب ماؤها، وهذا يختص بالحمامات الطبيعية التي يجري ماؤها على معادن معينة وهو إنما يُعلم نفعه بالتجربة، وهي أيضا نافعة لاختلال العقل بسبب سوء مزاج بارد أو يابس وبالتالي تعالج بالرطوبة، ومنها ما هو نافع لبعض حالات العقم التي مردها إلى سوء مزاج يابس، كما أن الحمامات نافعة للأمراض الظاهرة مثل علة تولد القمل في الرأس وعلة البرص وأيضا لبعض الحميات[9].

2 - الحمامات العثمانية:

هذا بصفة عامة لأهمية الحمامات الاجتماعية والدينية والصحية، ولكي نعطي فكرة عن الحمامات العثمانية في الجزائر فإن ما توفر عندنا من المراجع هو وصف لبعض حمامات العاصمة، يقول وليم سبنسر:» لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باشا ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير وجهزت بالماء الساخن والبارد، وكانت تضاهي أحسن الحمامات في القسطنطينية»[10].

ومن خلال هذا الوصف يتضح أن حمامات الجزائر في فترة العثمانيين أصبحت على نسق حمامات العاصمة العثمانية وبالتالي فإن النمط المعماري قد انتقل إلى الجزائر، ومما يدل على أن الحمامات في هذه الفترة قد كثرت قول وليم سبنسر نقلا عن نيكولاي Nicolay في وصف الجزائر: « توجد من وراء البلاط الملكي بيوت رائعة تعود ملكيتها للخواص من الرجال وإلى جانبها عدد كبير من الحمامات « ونقل هايدو أنها بلغت الستين حماما[11]، وهذا أمر مسلم به إذ أن بقاء العثمانيين لمدة تجاوزت الثلاثة قرون لا شك وأنه نتج عنه العديد

من العمائر العسكرية والدينية والمدنية، ونحاول فيما يلي إعطاء صورة نظرية لما كانت عليه هذه الحمامات.

أما بالنسبة لعمارتها وهو ما نحن بصدد الكلام عنه هنا، فلدينا وصفين أحدها لكاثكارت الأمريكي الذي كان أسيرا في قصر الداي والآخر لوليم سبنسر الذي قضى مدة في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، يقول كاثكارت أن حمام قصر الداي يشبه الحمامات الموجودة بالمدينة إلا أنه أصغر حجما منها، والحمامات التركية مبنية على طراز واحد فنجد أولا غرفة صغيرة مؤثثة مخصصة لنزع الملابس، ثم غرفة أخرى دافئة يجلس فيها المستحم حتى يتصبب عرقا ومنها يدخل إلى الغرفة الساخنة أين ينظف جيدا ويدلك ثم يعود أدراجه إلى الغرفة الدافئة ثم إلى القاعة الأولى، وحمام الداي مفروش بالمرمر ومزين بالآجر المستورد من جنوة، وتعلوه قبة فيها نوافذ صغيرة وثقوب تسمح بتسرب ضوء النهار والهواء ويضيف قائلا:» بأن جميع الحمامات في هذه الأيالة بل وفي جميع بلاد المغرب بنيت على أساس نفس القواعد والمبادئ وهي كلها مزخرفة بدرجات متفاوتة»[12].

أما سبنسر فيقول:» كانت بناياتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والمسخن، يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين اثنتين*، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر عاريا** إلى حجرة أخرى عريضة قد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها أشخاص يتراوح عددهم بين 10 و12 وفي كل مكعب يمر الماء المسخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان والمعممة لسحابات البخار الساخن المعبأ بالرائحة الذكية، ... وبعد استراحته في هذه الوضعية الباعثة على النوم ولعدة دقائق يظهر اثنان من الهزميتسز Hizmetcis (أي الخدم أو المدلكين) الأقوياء فيمططون في جنباته حتى تتطرطق جميع مفاصله، ويقلبونه كالخبز الناعم، ثم يحكون على جسمه بقفازات لا ظفر لها فيخرجون أكثر من الرطل[15]، وبعد أن يتم كل هذا يعود المستحم إلى غرفة الملابس على الطريق الذي دخل منه، فيتناول كوبا من الشربت*** يمده بها عون آخر، وبعد أن يَبُخ عليه عون ثالث بماء الزهر يلبس ثيابه ثم يغادر المكان ودمه يسير في دورة غير عادية من الحيوية، ويحيط به شعور عام من النشاط يسري في كل جسمه المنبعث بحيوية جديدة ونشاط».

وبضيف قائلا:» ولقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، ولكن الإجراءات كانت أكثر طراوة والزبائن كان أمامهن وقت كثير ومناسبات أقل للتجمع مع الأصدقاء، فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته يقوم الرجال الخدم****

الهزميتسز Hizmetcis بغسلهم من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر ويبُخون عليهن بالمسك والعطور الأخرى، وبعد هذا تصبغ حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن التي تكون قد علقت من البداية في معالق تحتوي على أريج عود القمار المشتعل، وتنتظرهن في غرفة الملابس ليس فقط الشربت ولكن الفاكهة والجوز وحلويات أخرى تشمل الحلوة المفضلة لدى الأتراك (الحلقوم Lukum) ونوع من حلوة أصابع العروس كما تقوم المؤسسة أيضا بتهيئة جو موسيقي وتحضير فتيات للرقص وفي هذا الجو المبهج تقضي الجزائريات يوما من أيام الأسبوع[18].

3 - حمامات تلمسان:

خلال جولتنا الميدانية وسؤالنا لبعض أهل تلمسان أُخبرنا أن مركزهم الذي أقاموا به كان يقابل جامع سيدي اليدون وأن هذا المسجد كان مسجدهم، إلا أن محل إقامتهم الآن قد سُكن من طرف بعض التلمسانيين مما يصعب معه دراسة هذه المنطقة، أما عن وجود الحمامات التي نحن بصدد البحث فيها فلا توجد أصلا، وإنما يوجد بالقرب من هذه المنطقة إلى الجهة الجنوبية حمام قديم حسب محدثنا[19]، وقد توفي صاحب الحمام والحمام الآن محل نزاع بين الورثة وبعد اتصالنا بهم قيل لنا أنه أقدم من العثمانيين ومنعنا من الدخول إليه ودراسته، وألحنا في السؤال على محدثنا فقال بوجود حمام تركي وحيد في تلمسان يوجد بالقرب من مسجد الشرفاء، ولما ذهبنا إليه وجدنا بأن الدرب المؤدي إلى الحمام مقفل من الجهتين ومفتاح أحد مداخل الدرب عند صاحب حانوت، فما كان منه بعد الإلحاح الشديد إلا أن فتح لنا الباب وذكر بأن مجموعة من ذوي الهوى والنفوس الضعيفة اتخذوا هذا المكان مقرا للفساد والإفساد فغُلق الدرب بسببهم، وأما الحمام الموجود به فهو مغلق الآن وهو أيضا محل نزاع بين الورثة، وأن مالك مفتاح الحمام لا يأتي إلا نادرا، وخلال المعاينة الميدانية ظهر لنا أن الحمام في حالة يرثى لها ذلك أن الفسحة التي تسبق المدخل بها قاذورات وماء راكد كأنه مكان تجمع مياه المراحيض، ثم إن صاحب الحانوت المذكور ذكر أنه رآه مرة من الداخل وقال أنه مهدم ومملوء بمثل هذه المياه وقد عششت فيه الجرذان حيث يخشى على الداخل إليه، غير أننا استطعنا أن نلاحظ أن النصف الأعلى من المدخل يحيط به من جانبيه وأعلاه زليج عبارة شريط واحد باللون الأزرق الفاتح ومزخرف بزخارف نباتية، أما باب المدخل فهو من الخشب يظهر أنه حديث نسبيا.

4 - حمــام سليمـان :(أنظر المخطط)

وهناك حمام بعيد نوعا ما على المنطقة التي سكنها العثمانيون وهو يشبه حماماتهم التي وصفها بعض الرحالة الغربيين، يقع هذا الحمام بدرب سيدي حامد، ولا يزال يستعمل إلى الآن وهو مبنى قديم، أما مدخله فهو مسبوق برواق(سقيفة)، ثم ننزل بدرجتين حيث نجد المدخل على اليسار(أنظر الصورتين رقم1-2) وهو ببوابتين خشبيتين مزودة بدبابيس تملأ الواجهتين الخارجية والداخلية، ثم نفضي مباشرة إلى القاعة الباردة.

4 - 1 القاعة الباردة: (أنظر الصورة رقم3) وهي قاعة مستطيلة نستطيع أن نقول أنها عبارة عن غرفتين، الأولى وهي التي تلي المدخل مباشرة وهي مربعة الشكل في وسطها نافورة ماء(أنظر الصورة4) وحوضها مزين ببلاطات خزفية، وعلى يسارها بنيت عين- فسقية- بحوض صغير يصب فيه الماء من حنفية في الأعلى(أنظر الصورة5)، والعين مزدانة ببلاطات خزفية مزخرفة تشبه في شكلها تلك العين التي تقابل مدخل قصر خداوج العمياء بالعاصمة(متحف الفنون والتقاليد الشعبية حاليا) وغيرها من العيون التي وجدت في كثير من القصور العثمانية، وهذه الغرفة تعلوها قبة مضلعة ترتفع على أربعة أعمدة تعلوها عقود حدوية، وشُغل مكان ارتكاز القبة بحنايا ركنية تفصل بينها نوافذ مغلقة بالزجاج للإضاءة(أنظر الصورة6)، أما الجزء الآخر من هذه القاعة فهو يقابل الداخل وأن أرضيته أعلى من مستوى أرضية الغرفة الأولى، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة فُصل وسطها بسورين فأصبحت على شكل ثلاثة غرف مستطيلة وهي مخصصة لنزع الملابس وقد وضع في مداخلها قضبان حديدية، وسُقِّف هذا الجزء بأقبية نصف أسطوانية وشُغل الجزء السفلي لهذه القاعات ببلاطات خزفية منها ما هو قديم أصلي ومنها ما هو حديث(أنظر الصور7-8-9)، ونجد على يسار المدخل الرئيسي مكان الشخص المكلف بالحمام(الحمامي)، أما أرضية هذه القاعة فهي مبلطة ببلاطات حديثة، وقد غُطي سقفها بمزيج من الأقبية نصف أسطوانية التي ذكرناها قبل قليل وأخرى متقاطعة والتي نجدها تكتنف القبة التي تتوسط هذه الحجرة، كما تجدر الإشارة إلى أن الجهة السفلية من جدران هذه الحجرة قد كُسيت بالزليج معظمه حديث، وفي هذه الجهة أيضا أي على يسار الداخل نجد باب يفضي إلى القاعة الدافئة ويقع يسار العين المذكورة أعلاه.

4 - 2 القاعة الدافئة: مستطيلة الشكل عرضها حوالي مترين ونصف أما طولها فحوالي ستة أمتار، وقد فُتح على يسار الداخل إليها مرحاضين متلاصقين كما كُسيت هذه الجهة من

الجدار بزليج يظهر أنه حديث(أنظر الصورتين10-11)، كما نجد على يمين الداخل حوض مائي يظهر أنه حديث، وقد فُصل جزء من هذه الحجرة -في الجهة المقابلة للمرحاضين- وهو على شكل حوض مائي وقد بُني جزء منه إلى ارتفاع يقارب السقف، وأرضية هذه الغرفة على شكل الغرفة السابقة قد بلِّطت ببلاطات حديثة، أما تسقيفها فهو بقبو نصف أسطواني به فتحات للإضاءة، ومن هذه القاعة نلج إلى القاعة الساخنة عبر مدخل مفتوح في الحائط الأيسر وقد أُحدث فوق هذا المدخل فتحة على شكل مدخنة هرمية الشكل (كما هو موضح في الصورة10) وظيفتها إخراج البخار المنبعث من القاعة الساخنة إلى الخارج حتى لا يبقى في الغرفة الدافئة.

4 - 3 القاعة الساخنة: على شاكلة القاعة الدافئة إلا أنها أعرض منها فتبلغ حوالي خمسة أمتار، وقد فصلت هذه القاعة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة أعمدة يظهر أنها أصلية تحمل عقودا حدوية، بحيث نجد عمود في وسط القاعة في كل جهة وعمودين آخرين مدمجين في الحائط في كل جهة أيضا(أنظر الصورتين12-13)، وقد أضيف إلى هذه القاعة غرفتين صغيرتين في أقصى الجهة اليسرى وأربعة قاعات في الجهة اليمنى، وهذه من خصائص الحمامات العثمانية لأن الحمامات القديمة لا نجد هذا العدد الكبير من الغرف، كما يمكن أيضا أن نميز أحواض مائية منها ما هو مخصص للماء الساخن وهو الموجود قريبا من الركن الأيسر والذي يقابل الداخل إلى هذه القاعة، أما الحوض الخاص بالماء البارد فهو الذي نجده على يمين الداخل مباشرة، أما عن أرضية هذه القاعة فمعظمها ببلاطات حجرية يظهر من خلال شكلها أنها أصلية، أما التسقيف فهو بقبو نصف أسطواني وقد فتحت فيه فتحات مغلقة بالزجاج من أجل الإضاءة.

وأما **ملحقات** الحمام التي نجد من ضمنها الفرن ومكان وضع مواد إشعال النار وكذا خزان المياه، فنجدها في حمام سيدي سليمان على يسار المتجه إلى الحمام قبل السقيفة كما واضح في المخطط، ولها فضاء خاص.

بداية بالفرن فكما جرت العادة في كل الحمامات العتيقة فإننا نجد مستواه منخفض عن مستوى الحمام، ويكون ملاصقا للغرفة الساخنة لأنه يمدها بالحرارة التي تمر أسفل هذه القاعة عبر فتحات خصصت لهذا الغرض مسبقا وفي جدرانها عبر قنوات التي بدورها تخرج الدخان عبر مداخن الحمام، كما أن موقع الفرن يسهل عملية إيصال الماء الحار إلى الغرفة الساخنة عن قرب دون الحاجة إلى عدد كبير من القنوات، ويزود الفرن بقدور من

النحاس (البرمة) التي يسخن فيها الماء ومن هذه الأخيرة يُصرف إلى الأحواض المخصصة للماء الساخن داخل الغرفة الساخنة.

ومن جهة أخرى نجد بجانب موقع الفرن (غرفة الحرق) فراغ واسع خصص لاستقبال المواد القابلة للاشتعال التي تستعمل في إذكاء النار كالحطب والقش وفضلات الحيوانات.

كما نجد أيضا العنصر الحيوي والمهم في وجود الحمام وهو الماء، فقد اختلف تزويد الحمامات بالماء في القديم فنجد إما أحواض مائية أو آبار، أما في وقتنا الحالي وفقد استبدل هذا النظام بنظام توصيل الماء بالأنابيب.

يمكن اعتبار هذا الحمام نموذجا للحمامات العثمانية بتلمسان لأن له تخطيطا مشابها لها من حيث بعض العناصر المعمارية كنافورة الماء بوسط هذه الغرفة، بالإضافة إلى استعمال البلاطات الخزفية المتنوعة، دون أن ننسى العين (الفسقية) التي اختصت بها جل القصور العثمانية.

خاتمة:

وعلى كل حال فمجمل القول أن الحمام الذي يجب دراسته هو ذلك الحمام الذي لا يزال محل نزاع بين أصحابه وهو الوحيد الذي يمكن من خلاله أن نعطي صورة سليمة وصادقة عن الحمامات العثمانية التي بناها العثمانيون بتلمسان، ولكن في غياب الأدلة التاريخية والشواهد الأثرية، فإن العمل في مثل هذه الظروف لا يسعف الباحث لأن يقوم بعمل تام، وعلى كل نأمل أن يأتي اليوم الذي نستطيع فيه دراسة هذا الحمام إذا ما سوي المشكل بين الورثة.

الصورتين1-2: السقيفة ومدخل الحمام.

الصورة3: الغرفة الباردة.

الصورة4: النافورة بالغرفة الباردة.

الصورة5: العين مع مدخل الغرفة الدافئة.

الصورة6: القبة بالغرفة الباردة.

الصور7-8-9: بلاطات خزفية بالغرفة الباردة.

الصورتين10-11: الغرفة الدافئة.

الصورتين12-13: الغرفة الساخنة.

هوامش البحث:

1 - أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، ص186-189؛ محمد بن عمرو الطمار، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ص229-230؛ كورين شوفاليه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510-1541م**، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ص102.

2 - ينظر عن هذه الحوادث عند: أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص189-192؛ محمد على الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط**، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1427هـ/2006م، ص236؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص230-231؛ وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص34؛ عبد العزيز نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث**، دار الفكر العربي-القاهرة، 1998م، ص67؛ كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص36.

3 - أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص247-248؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص229-230؛ علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص255.

4 - أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص321-329، 343، 371-376؛ محمد على الصلابي، مرجع سابق، ص270؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص233-234؛ عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص68-69؛ ستانلي لين بول، **الدول الإسلامية** يبحث عن 181 دولة إسلامية مع إضافات بارتولد وخليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبيحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلق عليه محمد أحمد دهمان، 1393هـ/1973م، ص 104؛ صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال المراحل الكبرى**، دار العلوم للنشر والتوزيع-الجزائر، 2005م، ص114.

5 - أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855م**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1975م، ص51؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص238.

6 - محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص238 .

7 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص95.

8 - أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص14 .

9 - ينظر: فضيلة بوعمران، **طرق علاج الأمراض في مخطوطات الطب العربي الأندلسي** قراءة في كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان ابن زهر الإيادي الإشبيلي، المخطوطات العلمية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب

الأوسط (الجزائر)، 2007م، الصفحات(110-131)، ص120-121؛ بن عمر حمدادو، قراءة في رسالة مخطوطة في الطب "**التداوي بالحمامات السخنة المعدنية**، حمام الأنف المعروف بالديار التونسية نموذجا" للشيخ محمد بن حسين بيرم التونسي (1130-1214هـ/1718-1800م)، المخطوطات العلمية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائز)، 2007م، الصفحات(152-164)، ص157-158.

10 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص45 .

11 - DE HAEDO Diego, **TOPOGRAPHIE ET HISTOIRE GENERALE D'ALGER**, Traduit de l'espagnol par Monnereau et A.berbrugge, présentation de Jocelyne Dakhlia, Editions Bouchene, 1998, p225 .

- وليم سبنسر، مرجع سابق ، ص44 .

12 - جمس ليندر كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، 1982م، ص93-94.

*- هي فيما يظهر عملة ورقية.

**- ليس للمسلم أن يكون عاريا فلعله بإيزار كما هو الحال عند عامة المسلمين فذكره هنا على سبيل التغليب لما يرى عامة جسده عاريا.

15 - لعل هذا الكلام مبالغ فيه إلا إذا كان الذي دخل إلى الحمام من الجند الذين كانوا في جهاد وطال عليهم الزمان لدخول الحمام، وإلا فالمشاهدة تنفي ذلك خاصة إذا كان دخول الحمام مرة في الأسبوع.

***- هو الشاي على ما يبدو.

****- هذا الذي ذكره هنا غريب جدا وحتى لو كان هؤلاء الخدم مخصيين أو مخنثين فلم نسمع في الإسلام بمثل هذا، كما أن وصف الحمام يشك أنه خاص بالطبقة الراقية إذ كما قال بن خلدون يجب أن نقيس الشاهد بالغائب وليسوا بعيدين عنا جدا في التاريخ، وحتى لو كان هذا الأمر خاص بالطبقة البرجوازية فلا يسمح الرجال لحريمهم أن يغسلهن الخدم اللهم إلا الخادمات.

18 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص95-96.

19 - الشيخ بن سنان شيخ كبير السن إمام مسجد سيدي اليدون بتمسان، المقابلة كانت في نوفمبر 2007م بالجامع الذي يدرس فيه.